«البلاد العربيّة»
في غل ١:١٨ و٤:٢٥

أ. أيّوب شهوان

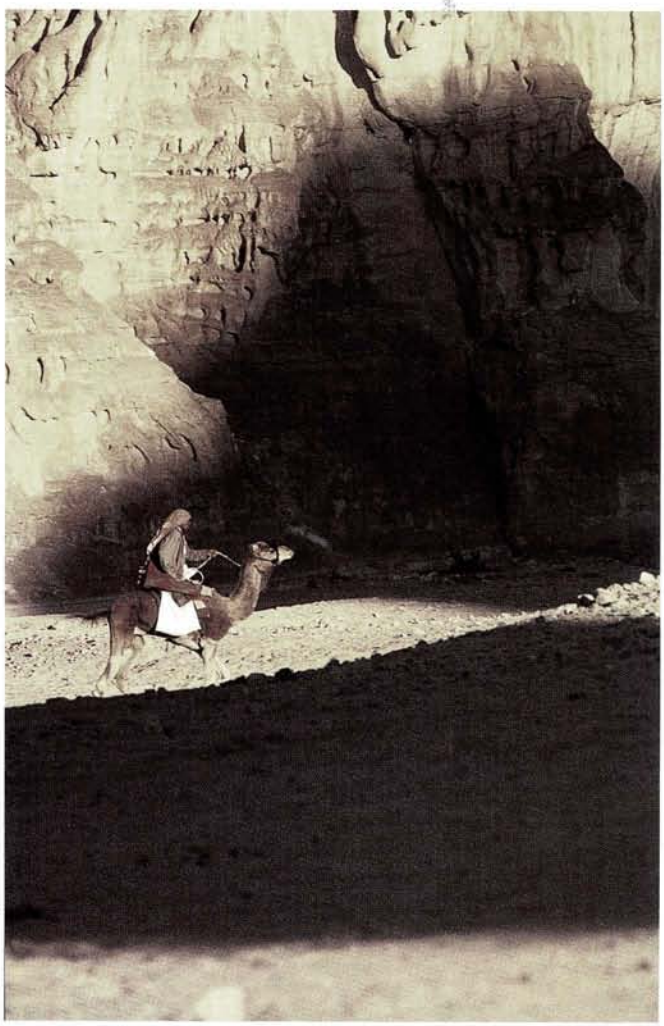

«...ذهبتُ إلى بلاد العرب»

مقدمة

ملفت للنظر ذكر «البلاد العربية» مرّتين في رسالة بولس إلى الغلاطيين، الأولى بالمعنى الجغرافي حيث نرى بولس يذهب إلى تلك البلاد، والأخرى بالمعنى الألّيغوري والرمزي حيث يشرح بولس فكرةً معينة من خلال المقارنة والمقابلة. لنتبيّن أبعاد هذين الاستعمالَين ومعناهما.

١- بولس في البلاد العربية (غل ١:١٧)

١/١ - اسم «البلاد العربية» وموقعها

لم يَرِدْ ذكرٌ لـ«البلاد العربية»[٢]، في العهد الجديد إلاّ في رسالة بولس إلى الغلاطيين، في ١:١٧، ثم في ٤:٢٥.

في حين أن التسمية «البلاد العربية» تشير عادةً إلى شبه جزيرة الصحراء الواسعة الواقعة بين العراق والخليج الفارسي شرقاً، والمحيط الهندي جنوباً، والبحر الأحمر غرباً[١]، يمكن أن

١- F. J. Matera, *Galatians* (Sacra Pagina, vol. 9; The Liturgical Press: Minnesota 1992) 14. 61. 64. 66. 68. 70. 170.

تدلّ أيضاً على المنطقة الواقعة شرقي أورشليم. هكذا يُحتَمَل أن يكون بولس يشير إلى مستوطنة صغيرة جنوبي دمشق، في مملكة النباطيين. في ٢ قو ١١:٣٢ يخبر بولس من جديد كيف أن حاكم دمشق، وتنفيذاً لأوامر الملك أريتاس (أريتاس الرابع، ٩ ق. م.–٤٠ ب. م.)، حاول أن يلقي القبض عليه في دمشق. من المحتمل أن يكون نشاطٌ ما معيّنٌ قام به بولس «في البلاد العربية»، أي في مملكة أريتاس المذكور النباطية، كان مناسبة ذلك. أما في غل ٤:٢٥، فيتكلم بولس على «البلاد العربية» بمعنى عام.[٣]

هناك توضيح آخر يقول بأنه، من الناحية الجغرافية، تشمل كلمة «أرابيا» (Αραβια) اليونانية الأرضَ الواقعةَ غربيَّ بلادٍ ما بين النهرين، شرقي وجنوبي سوريا وفلسطين، وصولاً إلى أرض سيناء الضيّقة. وفي أيام الحكم الروماني، قامت ممالك مستقلة، مثل مملكة النباطيين جنوبي دمشق، وحملت اسم «البلاد العربية»[٤]. ويدعوها كذلك أيضاً المؤرّخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس، في كتابه **القاعدة**. تدلّ هذه البلاد إذاً على تلك التي سيزورها بولس بعد ارتداده، كما يورد هو هذا الخبر في غل١:١٧.

أما كلمة «أَرَابْيَن» (Αραβιαν) اليونانية، ومن وجهة نظر أكثر حصراً، فهي على ارتباط مع شبه جزيرة سيناء، الوارد ذكرها في غل ٤:٢٥. إنها هي ذاتها التي يدعوها القديس إكليمنضوس في رسالته الأولى (٢٥:١) موطن الفنيكس.[٥]

٢/١ – لماذا ذهب بولس إلى البلاد العربية؟

«بل ذهبت إلى البلاد العربية» (غل ١:١٧).

لم يُلَقِّنْ أحدٌ بولسَ الإنجيلَ الذي بشرّ به، ولا تلقّاه من إنسان، بل بالأحرى، هو اللهُ، الذي أفرد بولسَ منذ حشا أمّه (غل ١:١٥؛ رج مز ٢٢:٩ و١٠؛ ١٣٩:١٣)، قد أوحى له ابنَه، كي يتمكّن هذا «الإناء المختار» (أع ٩:١٥) من أن يبشّر الأممَ بالإنجيل. عندما حصل ذاك الوحي، وُلِدَ إنجيلُ الشريعةِ الجديدة الحرةِ بالنسبة إلى بولس، حتّى ولو كان الكثير من التفاصيل قد تمّ الانكباب عليه لاحقاً في أماكن عدة من رسائله، وإن كان وسطَ جدالٍ وشيء من الخصام، كما حصل في غلاطية. ولأنّ بولس فهم معنى ذاك الوحي، لم يذهب إلى أي مكان إلاّ إلى «البلاد العربية» (١:١٧)، وفوراً، حيث يُفْتَرَضُ أنه باشر بتبشير «الأمم» هناك. عندما ذهب إلى أورشليم بعد ثلاث سنوات (١:١٨)، كان ذلك فقط ليزور بشكل خاص كيفا، وفقط لمدة أربعة عشر يوماً (١:١٨). لم يكن ذلك لقاءً رسمياً تمّ فيه إعطاء تعليمات حول الوحي الذي كان قد تلقاه قبل ثلاث سنوات، بل «استطلاعا»، كما يؤكد هو نفسه (١:١٨).

٣/١ – هل بشر بولس في «البلاد العربية»؟

كان معنى الوحي واضحاً بالنسبة إلى بولس: كان الله يريد أن يرسله إلى الأمم. بالنتيجة، لم يكن بولس بحاجة إلى أن يستشير آخَرين؛ على العكس، ذهب مباشرةً إلى «البلاد العربية»، إلى مملكة أريتاس الرابع النباطية، ومن المرجح كثيراً أنه باشر هناك تبشيره الأمم. لقد عكسَ سلوكُ بولسَ انسجاماً تامّاً مع الإنجيل الذي تلقاه: فبعد أن أوحى اللهُ له ابنَه، انطلق فوراً يبشّر الأممَ بالإنجيل.

دام نشاطُ بولسَ في البلاد العربية أقلّه ثلاث سنوات (١:١٨)، عاد بعدها إلى دمشق (غل ١:١٧)، التي تقع في سوريا، شمالي فلسطين، والتي جعل منها الرومانُ سنة ٨٥ ق. م. عاصمةَ المملكة النباطية. عندما أتى بولسُ إلى دمشق، كان أريتاس ملكاً. نودّ أن نلاحظ هنا أنه، في حين أن أع ٩:٣ي يقول بأن الوحي وقع عند اقتراب شاول من دمشق، هي المرة الأولى التي يحدد فيها بولس مكانَ حدثِ دعوتِه. تدل روايات المؤرّخ يوسيفوس حول مذبحة اليهود في دمشق[٦] على أنه كانت هناك جماعةٌ يهودية هامة، منها تكوّنت جماعةٌ من المؤمنين، يمكن الافتراض أن بولس انتمى إليها، متلقّناً تقاليدَ جديدةً حول يسوع، مع التأكيد على أنّ إنجيلَه أتاه من الله.

٢– بدلاً من التسمية الشائعة، «بلاد العرب»، اعتمدنا «البلاد العربيّة»، الواردة في **إوَنْجِلْيُون، الكتاب المقدّس، العهد الجديد** (ترجمة كليّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس، الكسليك، ١٩٩٢) ٨٢٩–٨٣٠، ملاحظة على آ ١٧.

٣– F. J. Matera, *Galatians*, p. 61.

٤– "Αραβια", in W. Bauer, *Wörterbuch zum Neuen Testament* (de Gruyter: Berlin 1988) 209.

٥– أنظر: F. M. Abel, *Géographie de la Palestine*, '33/38, I, 288-294; II, 164-168.

٦– يوسيفوس، **حرب اليهود**، ٢:٥٦١؛ ٧:٣٦٨.

١/٤ – من البلاد العربية إلى دمشق ثانية[٧]

لم يذهب بولس الى أورشليم، بل إلى «البلاد العربية»، أي من المحتمل أن يكون في المنطقة الجنوبّية لمملكة النباطيّين[٨]؛ لكن لماذا إلى هناك حصراً؟ هذا ما نجهله، كما أننا لا نعلم هدف هذه الرحلة ولا مدّتها إلاّ تقريبياً. بالنتيجة، ما يهمّ الرسول هو فقط أن يبيّن أنّه، في تنقلاته في تلك الحقبة لم يتصل بأورشليم، ولا بالجماعة المسيحيّة هناك.

لاحقاً أيضاً لم يعُد الى أورشليم، بل «من جديد» (παλιν) الى دمشق. ليست كلمة «من جديد» هنا للاطناب، ولا هي فقط للتعداد[٩]، بل يستعملها الرسول للإشارة الى إقامته الأولى في دمشق بعد ارتداده، وهو أمر كان معروفاً (ηκουσατε) لدى مَن يكتب إليهم (أي أهل غلاطية)، خاصّة وأنّه كان قد ألمح الى ذلك في غل ١:١٥ي. والآن هو يذهب «من جديد»، أو مرّة ثانية، إلى تلك المدينة، وليس إلى أورشليم. «عدت» (υπεστρεψα) : هكذا هو يكتب، لأنّ ذهابه الى «البلاد العربية» انطلق من هناك. من المحتمل أن تكون إقامته في «البلاد العربية» كانت لمدّة قصيرة فقط لأنّه ليس هناك أي دليل زمني أكيد وواضح حول الموضوع (على خلاف ما في ١:١٨ و٢:١).

٢ – «جبل سيناء في البلاد العربية» (غل ٤:٢٥)

١/٢ – هاجَر «وجبل سيناء في البلاد العربية»

بولس في بلاد العرب

«هاجَر» تقوم مقام جبل سيناء في البلاد العربية» (٤:٢٥)

تتضمن هذه الجملة معضلة نقدية أدبية معقدة. النص المعتمد هو عادة نص «وهاجر هي جبل سيناء». مع هذا، تقرأ بعض المخطوطات «لأن» (γαρ)، بدلاً من أداة الوصل البسيطة، «و» (δε)، في حين أن مخطوطات أخرى تحذف إمّا «هاجر» وإما «سيناء»، كما يلي:

– «لأن هاجر هي جبل سيناء في البلاد العربية» (K, P)؛

– «وجبل سيناء هو في البلاد العربية» (P46)؛

– «لأن هاجر هي جبل في البلاد العربية» (it)؛

– «لأن جبل سيناء هو في البلاد العربية» (C, G, S).

يلاحظ بارِّيت[١٠] أنَّ «اعتباراً حاسماً لصالح النص الطويل هو أن حذف هاجر يجعل جانباً هاماً من المعلومة الجغرافية ذا شأن قليل للقارئين أو ذا أهمية لإطار النص.» في النص اليوناني، تحكم هاجرَ ألـ التعريف المحايدة (το، حرفياً «الـ هاجر»). تدل ألـ التعريف على أنه ليست هاجر الشخص هي مَن يعني بولس، بل الكلمة «هاجر» التي هي في النص. من المحتمل أن يكون بولس قد جمع بين «هاجر» و«جبل سيناء»، لأن سيناء تقع في البلاد العربية، أرض نسل هاجر من إسمعيل[١١].

٢/٢ – «ولكنها تناسب أورشليم الحالية»

تُتَرْجَم الأداةُ اليونانية «دي» (δε)

٧– Franz Mussner, *La lettera ai Galati*, pp. 166ss.

٨– فلافيوس يوسيفوس، **العتيقات اليهوديّة** ١:٢٢١؛ ٢ كو ١١:٣٢. أنظر: J. Starcky, "Pétra et la Nabatène", *DBS* VII (1966) 886-1017 (913-916).

٩– كما هي الحال، مثلاً، في روم ١٥:١٠.

١٠– C. K. Barrett, "The Allegory of Abraham, Sarah, and Hagar", pp. 163-164.

١١– أنظر مز ٨٣:٦ الذي يتكلّم على «الهَجريين».

بـ«لكن»، وتعطي معنى «حتى ولو» كانت سيناء في البلاد العربية، فهي تناسب أورشليم التي ليست (في البلاد العربية). إنها العبارة الوحيدة، συστοιχηειν، في العهد الجديد؛ تعني الوقوف في ذات الخط أو العامود، كالعساكر، مثلاً. هنا، يقيم بولس عامودَين، واضعًا إياهما أيضاً الواحد في وجه الآخر. تقف «هاجر» (وهي المفعول/الموضوع غير المعَبَّر عنه للفعل) في ذات الخط أو العامود، كما تفعل أورشليم الحاضرة، التي عكسها هي أورشليم التي فوق. أورشليم الحاضرة هي موطن مثيري القلاقل، مركز المسيحية اليهودية.

٣/٢ – «لأنها مستعبدة مع أبنائها»

«هي» – أي أورشليم الحاضرة – مستعبدة (δουλευει) لأنها تحت الشريعة التي سبق ووصفها بولسُ بأنها «مربية» (παιδαγωγος). أبناؤها (τεκνα) هم المرتدون إلى مثيري القلاقل. هكذا، هناك تَناسُبٌ بين ابن هاجر الذي وُلد للعبودية، وبين أورشليم الحاضرة التي وُلد أبناؤها في عبودية الشريعة. وستبقى أورشليم الحاضرة في ضلالها إلى أن تعترف بيسوع الذي وحده قادر على أن يوصلها إلى أورشليم العليا الحقيقية.

إذا كانت «أورشليم الحاضرة» خاضعة للشريعة القديمة، وبالتالي هي رافضة للمسيح، فإنها نقيض أورشليم العليا المسيحانية (رج أش ٢:٢)، «الحرة»، والخصبة بعد عقم طويل (غل ٤:٢٧؛ رج أش ٥٤:١–٦).

٤/٢ – سيناء في البلاد العربية (غل ٤:٢٥)[١٢]

تعني كلمة «هاجر» «جبل سيناء في البلاد العربية». أدّت هذه الجملة إلى تفكير عميق حول الاسم «هاجر» في غل ٤:٢٥أ؛ فرُبطت هذه الكلمة بالكلمة العربيّة «حجر»، التي تدلّ على صخور في سلسلة جبل سيناء. ولكن يُطرح عند ذلك : أيّ قارئ من الغلاطيّين وحتى اليوم يمكنه أن يفهم تلميحاً كهذا؟ إذا تركنا جانباً مسألة «البلاد العربية» ووضعنا مكانها «في لغة العرب»، فإنّنا عندها سنبحث عن تفسير الجزء الثالث من الأليغوريّة في ما يتعلّق بفكرة بولس حول «هاجر»، ولكنّ إطار النص يُبرز لنا بوضوح أنّ العنصر الثالث هنا هو العبوديّة : هكذا هاجر هي «عبدة»، وجبل سيناء «يلد للعبوديّة»، وأورشليم الحاضرة «توجد مع أبنائها في وضع عبوديّة».

أخيراً، آ ٢٥أ هي «ملاحظة جغرافيّة عابرة» قد تكون قليلة الاحتمال أو الترجيح. يجب أن يبقى حاضراً أمام ناظرينا هدف بولس من خلال الأليغوريّة في هذا النص، أيّ أنّ الملاحظة الجغرافيّة العابرة هي بالفعل ضروريّة. كما يظهر من إطار النص، يريد بولس من خلال الأليغوريّة التي يستعمل هنا أن يضع على ذات المستوى هاجر، وعهد سيناء، وأورشليم الحاضرة. الإشارة الى عهد سيناء هي ضروريّة بالنسبة إلى بولس ليضع موضع التأكيد الارتباط مع عبوديّة الناموس الذي تحته توجد «أورشليم الحاضرة». من دون هذا الجزء الوسيط من جبل سيناء، فإنّ الأليغوريّة التي تساوي بين هاجر وأورشليم الحاضرة لا تعود ممكنة. لكن يمكن الاعتراض فوراً على هذه الإشارة الى سيناء، كونها وحدة جغرافيّة، بما يلي :

لكنّ جبل سيناء يوجد في البلاد العربية[١٣]، فما علاقتها إذاً بـ«أورشليم الحاضرة»؟ على هذا الاعتراض «الجغرافي»، يردّ بولس واضعاً، من خلال ألّيغوريته، جبل سيناء في علاقة مع أورشليم الحاضرة»[١٤]. ما الذي يسمح بأن نؤكّد أنّها «تناسب»، بطريقة «ألّيغوريّة»؟ يردّ بولس مباشرة بالقول: «لأنّها (أي أورشليم) توجد مع أبنائها في حالة عبوديّة »، ما دامت تحت سيادة الشريعة، التي أتت من سينا. كلّ تحليل الرسول هو التالي : تعني هاجر «أليغوريّا» عهد سيناء، لأنّ هذه تلد للعبوديّة. ولكن، بما أنّ مكان الشريعة لم يعُد سيناء، بل أورشليم، فينبغي عليه أن يمدَّ جسراً بين مكان تشريع سيناء وبين أورشليم الأرضيّة المرئيّة، وبالتالي بين وحدتين جغرافيتين، وهذا ما يفعله في آ ٢٥؛ بالتأكيد جبل سيناء، من وجهة النظر الجغرافيّة، يوجد في البلاد العربية، ولكن في الحقيقة، «رمزيا»،

١٢ – F. Mussner, *La lettera ai Galati,* pp. 492-495.

١٣ – استناداً إلى الجغرافية القديمة يبدو أنّ شبه جزيرة سيناء كانت تشكّل بالفعل جزءاً من بلاد العرب. أنظر : Forbiger, *Handbuch der alten Geographie* II, 734. توجد «سيناء» شرقي خليج العقبة، من المحتمل أن يكون بولس قد عنى أنّها توجد أيضاً هناك؛ رج:
Gese, το δε Αγαρ Σινα ορος εστιν εν τη Αραβια, Gal. 4,25, in F. Maas (Hrsg.), *Das Ferne und nahe Wort;* Fesschr L. Rost (Berlin 1967) 81-94.

١٤ – إنّ فاعل الفعل اليوناني συστοιχει (أي يناسب) هو إذاً Σινα ορος في آية ٢٥أ.

مذبح في بِتْرَا عاصمة مملكة النباطيّين
حيث ذهب بولس بعد ارتداده واعتماده في دمشق

هو يوازي أورشليم الحاضرة. هاجر– الدياتيقي السينائيّة، وأورشليم الحاضرة «تتناسبان» من الناحية «الألّيغوريّة».

أمران يبقيان ماثلين للعيون في هذا التفسير: الأوّل، نوع النص الأدبي (حتى آ ٢٧) : الموضوع هو الألّيغوريّة أو التِيپُولوجيّة؛ الثاني، هو العنصر الثالث من الأليغوريّة، أي العبوديّة. هكذا يمكن أن يكون النص الأصلي كما يلي : «أمّا جبل سيناء فهو في البلاد العربية»[١٥].

خاتمة

مما تقدم، نستنتج أن بولس يرمي من كلامه على «البلاد العربية» في غل ١:١٧ إلى التشديد على أنه، وبعد حدث طريق دمشق، لم يتلقَّ الإنجيل من الرسل، بل من الرب مباشرة، وبالتالي ذهب إلى «البلاد العربية»، إمّا تلبيةً لدعوة الرب، وبدءاً بتبشير الأمم، وإمّا طلباً للخلوة والتأمل، أو أيضاً هرباً من حارث ملك دمشق (٢ قور ١١:٣٢).

أما في غل ٤:٢٥، إذا اعتُمِدَ ذكرُ هاجر كما هو الحال في بعض المخطوطات، فالتشديد هو على طابع العبودية في عهد سيناء القديم، كون هاجر أَمَةً مصرية (تك ١٦:١)، وابنها إسمعيل أمضى سنوات في البلاد العربية (تك ٢١:٢٠)، حيث تاه بنو إسرائيل بعد ارتحالهم من جبل سيناء (عد ١٠:١٢؛ ١٢:١٦؛ ١٣:٢٦). أمّا إذا أُهمِلَ ذكرُ هاجر، فالتركيز يكون على جبل سيناء، وعلى العهد المؤقت الذي قطعه الرب مع بني إسرائيل في سيناء، ولكن هؤلاء لم يؤمنوا بالمسيح يسوع، فاستمروا في حالة عبودية.

١٥– «استناداً إلى النص الصحيح، يُقال في ما يتعلّق بجبل سيناء أنّه يوجد في بلاد العرب، ولكن، من ناحية ثانية، هو على ذات المستوى، ويوجد على ذات الخط لأورشليم الحاضرة».

مراجع:

ABEL F. M., *Géographie de la Palestine*, '33/38, I, 288-294, II, 164-168.

BARRETT C. K., "The Allegory of Abraham, Sarah, and Hagar", pp. 163-164.

BAUER W., *Wörterbuch zum Neuen Testament* (de Gruyter: Berlin 1988) 209.

FORBIGER, *Handbuch der alten Geographie* II.

GESE, το δε Αγαρ Σινα ορος εστιν εν τη Αραβια, Gal. 4,25, in F. Maas (Hrsg.), *Das Ferne und nahe Wort:* Fesschr L. Rost (Berlin 1967) 81-94.

MATERA F. J., *Galatians* (Sacra Pagina, vol. 9; The Liturgical Press: Minnesota 1992).

STARCKY J., "Pétra et la Nabatène", *DBS* VII (1966) 886-1017 (913-916).